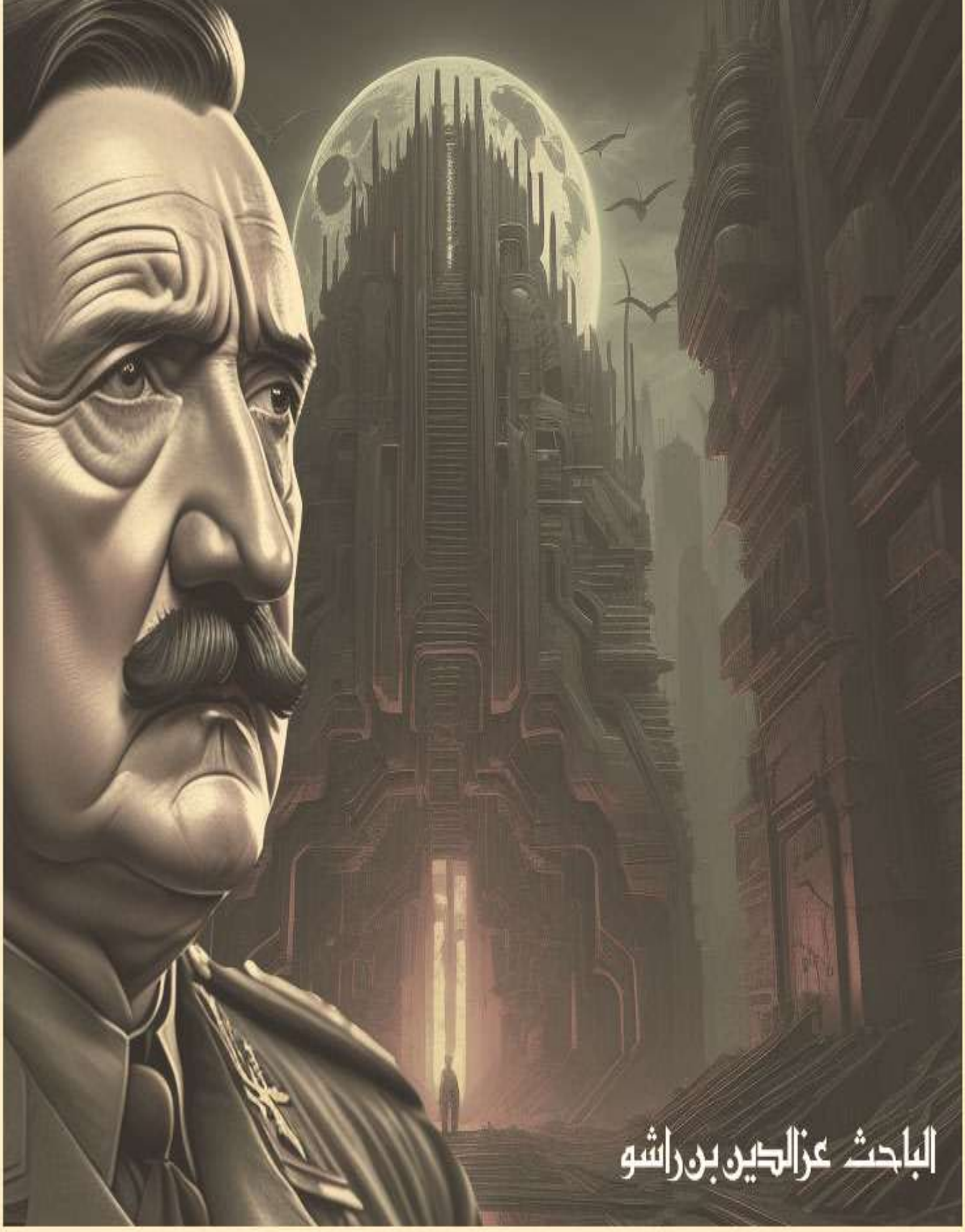

معضلة الشر في الإلحاد

معضلة الخبر في الإلحاد

بين التنظير والتطبيق

الباحث عزالدين بن راشو الجزائري

لماذا الخير والحروب في العالم ؟

قبل أن نسأل لماذا الحروب ، ولماذا يموت الأطفال في الحروب ، لابد أن نسأل لماذا هناك خير وشر ؟ وفي هذا يجب علينا أن نثبت أولا القيمة .

القيمة لا تنتمي لعالم المادة والمحسوسات

إن مفهوم القيمة قد أدركه الإنسان من أول عهد به في الحياة ، فعرف أن هناك خير وأن هناك شر ،وأن هناك عدل وهناك ظلم ، قال جل وعلا في كتابه مخاطبا آدم عليه السلام لما اخرجه من الجنة : قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39) سورة البقرة

فبين الله لآدم بمجرد أن امره بالهبوط الى الأرض كيف يتبع الطريق المستقيم وهو طريق الهدى بكل مايحتويه من عمل صالح وخير و عدل و طريق الكفر والضلال والتكذيب وكل مايحتويه من شر وظلم وفسوق وغيره ، فقد أقام الحجة على خلقه قبل ان ينزلهم الى الارض، واقام الحجة على الخلائق بفطرهم أيضا ، ولكن هذا الكلام لا يعجب الملحد الذي ناقض كل اصول المعرفة ، ولذلك علينا ان نبين له ان القيمة التي يسأل عنها هي اصلا خطأ في الحاده .

إن سؤال الملحد عن الشر وعن الحرب وعن القتل هو سؤال خاطيء الحاديا لان هذه قيم ، والقيم لا تدرك الا بضدها ، فاذا لم يكن لها ضد ، ويكون لها مطلق و مقيد لما صارت قيمة ، فنحن لا نعرف الخير الا اذا عرفنا الشر ، فلا يمكن أن نعرف هذا شرا ونحن لا نعرف ماهو الخير ، فمثلا لا نعرف ان الكذب فعل شر اذا كنا لا نعرف فعل الصدق وهو فعل الخير ، فالقيم تدرك بنقائضها ، و مادام الملحد يسأل لماذا هناك شر ، اذا لابد له ان يسلم ان هناك خير ، ومادام يسلم ان هناك خير ، فلا يمكنه انكار القيمة اساسا ، وهنا يتهدم الحاده .

ان القيمة ليست مادة ، وانما هي مثلها مثل الرياضيات التجريدية ، هي معرفة ابستيمولوجية لا وجود لها في العالم الخارجي الانطولوجي والامبريقي ، هي معرفة تجريدية ، قد تدرك بالمحسوسات ، وقد تدرك بالخبر ، وقد تدرك بالعقل ، وقد تدرك بالفطرة .

إن الصدق لا وجود له في العالم الخارجي الحسي من المحسوسات لنعرف هل هو خير ام شر ، وكذلك الكذب ، وان الحب لا وجود له في عالم تحكمه حركة الذرات وتفاعلاتها ، ومنه لا يمكن ان ينسب الى عالم المعرفة الحسية ولا الى العالم المادي العبثي ، وكذلك الكراهة .

والقيمة كما قلنا قد تدرك بالمحسوسات ، لكن لايمكن للانسان ان يعرف تلك القيمة ان لم يكن له تصور اولي عن معنى مطلق له ، فالجمال الذي في العالم كله نسبي ، ولا نجد شيئا جميلا الا ووجدنا شيئا اجمل منه ، والعقل الذي يقيس الامور بالمحسوسات لايمكنه ان يتخذ قيمة يقيس عليها الجمال في ظل هذا الجمال المتفاوت ، فلابد من قيمة مطلقة للجمال ، هذه القيمة لا يختلف فيها انسان على آخر ، وانما الاختلاف يكون في الجمال المحدود الذي تتداخل فيه بعض البشاعة ، ومادام هذا الجمال المطلق لايوجد في العالم الخارجي من محسوسات ، فلابد من وجود اولي له ، هذا الوجود يمثل قوة دافعة في النفس لتعطينا قيمة للاشياء التي نراها في العالم الخارجي ، فنحكم عليها اما بالجمال ام بالبشاعة . هذا المعنى قد صاغه من قبل افلاطون ، وعزا هذه القيم المطلقة الى عالم المثل ، و بغض النظر عن نظرية المثل في صحتها من خطأها الا اننا نعرف مصدرا معرفيا اقوى يحمل كل هذه القيم ، ويعطي القيمة لوجودنا ، وهي فطرتنا التي خلقنا الله عليها ،

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (30) سورة الروم .

والفطرة : ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به[1]

[1] لسان العرب 56/5

هذه القيم لا وجود لها في العالم الخارجي كما قلنا ، لكنها قد تدرك بالمحسوسات ، مثل الرياضيات التجريدية ، فالعدد 1 و 2 وغيره قد نجد مايدل عليه في العالم الخارجي ، لكن لا نجده متجسدا بالعدد نفسه ، وانما العدد هو اختراع عقلي للتمييز بين المحسوسات ، وقيمة الكل والبعض والجزء والنصف هي قيم لاوجود انطولوجي لها ولا امبريقي ، هي مجرد قيم ابستيمولوجية ادركها الانسان من خلال النظر في المحسوسات .

وخلاصة كلامنا ان الالحاد بني على الانكار الاعمى ، فهو ينكر من البداهة مايثبته كل عقل ، وهو انكر ان الفطرة مصدرا للمعرفة الحسية ، وان العقل مصدرا ، فوقع في عالم الفوضى و العبثية المطلقة ، وان سلم بعضهم بالعقل مصدرا للمعرفة وانكر الفطرة ، فهنا سيجد نفسه في مشكلة اكبر.... .

ان المعرفة العقلية تبنى على معرفة سابقة لها ، اما حسية او خبرية او فطرية ، فالعقل مجرد آلة ، تخزن وتحلل المعلومات بما سبق لها واكتسبته من معارف وخبرات ، ولا يمكن لها ان تعطي لنا قيمة حقيقية من تلقاء ذاتها .

لو قلنا لصبي ان مجرة المرأة المسلسلة مجرة كبيرة، فهل سيستطيع هذا الصبي ان يقوم باختراع صورة ذهنية عن مجرة المرأة المسلسلة وهو لا يعرف ماهي المجرات ؟

فكيف يعرف هل هي كبيرة ام صغيرة ؟ اذا لابد له من ان يدرك اولا ماهي المجرة ويرى مثالا ولو واحدا لها ، حتى يدرك إن كانت كبيرة ام صغيرة ، فعلم التصور هو علم تصور للمحسوسات على شكلها من دون ان يحكم عليها بالصحة والخطأ ، والذي يفعله الطفل لما نسأله اول مرة عن المجرة سيرسم نموذجا غير مكتمل وربما لا يشبه ذاك الشيء الذي قصدناه بشكل من الاشكال ، قد ينطلق هنا في تركيب الصورة الذهنية الاولية من اللغة ، فيتخيل له ان المجرة هي اناء ، او طريق يجري عليها الناس ، او غيرها مما له ارتباط لغوي بتلك الكلمة ، لكن لا نتخيل ابدا انه سيرسم بذهنه صورة لمجرة حقيقية .

ولكن ، قيم مثل الشر والعدل و الظلم ، هل سيدركها العقل انطلاقا من التجربة الحسية اذ لا وجود انطولوجي ولا امبريقي لها؟

وهذه اكبر معضلة يقع فيها الملحد ، فالاعداد قيم تجريدية لا مكان لها في الواقع المادي ، وكذلك هذه القيم ، هل سيلاحظ من خلال حواسه الخير والشر ؟

ان العقل الذي ينطلق من خلال المحسوسات فقط فلابد له ان يكون عقلا حسيا... وهذه الطامة الكبرى

ان العالم الذي يحكمه حركة الذرات لا يعطينا قيمة ، وانما هو محكوم بحركة الذرات ، ولا معنى للخير والشر فيه ، العالم الذي يحكمه عالم الذرات هو عالم حيواني محض ، فلا ضير ان يقتل الانسان القوي الانسان الضعيف ليبقى هو وفق قانون الانتخاب الطبيعي ، بل لا ضير ان يأكل الانسان الانسان ، لان هذه الامور تحكم العالم الحيواني ، والانسان بيولوجيا هو مجرد حيوان ، فمن اين اتى بمعرفة ان قتل الانسان او اكله هو فعل شر ؟؟؟؟

في عالم الحيوان قد نجد الابن يضاجع امه وتحمل منه وتلد ، ولكن لو قلت للملحد هل ستضاجع امك سيشعر بالقرف ، ولو سمع ان احدا وقع على امه او رجلا وقع على ابنته سيستنكر هذا بشدة .

وبسبب تلك النظرة الداروينية التي ترى أن الإنسان هو مجرد حيوان تحكمه القوانين البيولوجية ، أصدر داروين نظرية الإنتخاب الطبيعي التي تقتضي أن البقاء للأصلح .ولهذا اصدر هتلر العديد من البرامج من اجل تعقيم واخصاء اكثر من 400الف شاب.

فالبقاء للاصلح في العالم المادي ، والانسان بيولوجيا هو مجرد حيوان ، فكيف للعقل ان يدرك قيمة للشر والخير والعدل والظلم من خلال العالم الحسي ؟

ومن هذا نقول للملحد ، ان سؤالك عن الشر والخير ، والحرب والسلم ،واستنكارك قتل الاطفال هو سؤال خاطيء الحاديا ، ولو صح سؤالك لبطل الحادك ، لانك لو سلمت بوجود القيمة ، فهناك خير وشر ، وهناك دين والحاد ، فاما الدين صحيح ،واما الحادك

صحيح ، فان قلت الحادي هو الصحيح انتهى الحادك ، لانك سلمت بوجود القيمة ،والصحيح لا يكون صحيحا الا اذا كان نقيضه خطأ ، والصحة قيمة ، والخطأ قيمة اذا : انت دورك في الحياة هو ممارسة حياتك البيولوجية وانتهى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (12) سورة محمد

: الخير والشر والغاية

ان السؤال الطبيعي الذي يسأله كل انسان ويحاول جاهدا الاجابة عنه ، هو لماذا نحن موجودين ؟ ومالغاية من وجودنا ؟

ان مثل هذا السؤال لايحق للملحد ان يسأله ايضا، لان العالم المادي محكوم بحركة الذرات وتفاعلاتها ، ومنه فلا غاية لوجوده اساسا ، و ان من اهم أصول الالحاد هو لامركزية الانسان ، ومنه عبثية الوجود ، فنحن كائنات بيولوجية مسيرة ، فلا دور للانسان في الحياة غير انه يحقق الانتخاب الطبيعي وقانون التطور ، ومن هذا المنطلق مارست النازية والشيوعية و العلمانية جرائمها ضد البشرية التي راح ضحيتها الملايين من الابرياء ، يقول تشارلز داروين في كتابه أصل الأنواع :""في المستقبل غير البعيد، سوف تبيد الأجناس المتحضرة الأجناس الهمجية وتحل محلها حول العالم"

ولكن بعكس ذلك ، فالمتدينون ادركوا ان للوجود غاية ، و لكن بعضهم ادرك حقيقة هذه الغاية واخرون غفلوا عنها ، والسؤال هنا ، هل الخير والشر من ضمن هذه الغاية ؟

ان الخير والشر هما القيمتان التي تندرج تحتهما كل القيم الاخلاقية والدينية والاجتماعية والانسانية، فالعدل خير والظلم شر ،والصدق خير والكذب شر ، و بر الوالدين خير وفجورهما شر ، و حب الناس خير وبغضهم شر ، وهكذا

ان الانسان حسب الشريعة الاسلامية مستأمن في الارض مستخلف فيها ، قال عز وجل في سورة الاحزاب :{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)} سورة الاحزاب

قال بن كثير رحمه الله في تفسيره :وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك .أن الله لم يخص بقوله (عَرَضْنَا الأَمَانَةَ) بعض معاني الأمانات لما وصفنا

: وقد احسن بن السعدي رحمه الله في تفسيره هذه الآية فقال

يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن اللّه عليها المكلفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السر والخفية، كحال العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحتيم، وأنك إن .قمت بها وأدَّيتِهَا على وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقوم بها، [ولم تؤديها] فعليك العقاب فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا } أي: خوفًا أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربهن، { ولا زهدًا في ثوابه، وعرضها اللّه على الإنسان، على ذلك الشرط المذكور، فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل. فانقسم الناس -بحسب قيامهم بها :وعدمه- إلى ثلاثة أقسام

منافقون، أظهروا أنهم قاموا بها ظاهرًا لا باطنًا، ومشركون، تركوها ظاهرًا وباطنًا، .ومؤمنون، قائمون بها ظاهرًا وباطنًا

أ.هـ

والاسلام بلا شك اتى بكل القيم الانسانية والاخلاقية التي يستحسنها البشر ، وعليه قال ((صلى الله عليه وسلم ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

رواه البيهقي والبزار وغيرهما، وقد صححه الألباني في الصحيحة

فالاسلام قد حرم كل اوجه الشر من كذب وظلم وكبر وحسد ونميمة ، بل حرم حتى ما أباحته بعض الاديان كما اباحت الروافض الزنا و النصارى الخمر و اليهود قتل الاطفال والنساء والشيوخ في الحرب ، بل كل هاته الشرور لا يستطيع الملحد استنكارها بإلحاده ، وانما هو ينكرها بخلفيته الدينية التي خرج منها وتأثر بها في . محيطه

ولما كان الخير والشر هما المعيار الذي جاءت عليهما النبوات ، ويدور عليهما كل خلاف بين الاديان وغيرها ، ومادام الوجود لا يحتمل النقيضين ، فلابد ان يكون اما هناك غاية للوجود ام عبثية وفوضى ، و من اعتراض الملحد هنا صار لابد ان يكون هناك غاية ، فان معرفتك الخير من الشر غاية ، والحاد الملحد غاية ، فلو لم يكن للوجود غاية لانتهى الالحاد ، ولو لا يوجد غاية لما حق للملحد ان يتسائل مثل هذه التساؤلات ، لانه مجرد حثالة كميائية تطورت وتعيش وفقا لقانون الداروينية والانتخاب الطبيعي ، بل لو لم يكن هناك غاية ، لما ألحد الملحد ، لأن الإلحاد هو نتيجة بحث عن منهج للحياة ويطمئن له العقل حتى يمارس ما تهواه نفسه ، وهذه حقيقة لا مجال للملحد أن يتهرب منها ، فهو ألحد ليتخلص من قيود الدين والشرائع ، ليخرج من حياض الدين والإنسانية إلى حياض البهائم والحياة البيولوجية الحيوانية .

فما غاية الانسان اذا في الحياة ؟

غاية الانسان في الحياة هي ان يقوم بالامتثال لاوامر الله ونواهيه التي منها نشر قيم الخير و الاحسان والعدل و التصدق على الفقراء والمساكين ونشر قيم الاخاء والتكافل ، وفي نفس الوقت بغض ومحاربة كل تلك الامور الشريرة من ظلم وقتل و كذب و تكبر وايذاء الناس بالقول والفعل ، قال عز وجل :{الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (41) سورة الحج

أي: ملكناهم إياها، وجعلناهم المتسلطين عليها، من غير منازع ينازعهم، ولا معارض، { أَقَامُوا الصَّلَاةَ } في أوقاتها، وحدودها، وأركانها، وشروطها، في الجمعة والجماعات.

وَآتُوا الزَّكَاةَ } التي عليهم خصوصا، وعلى رعيتهم عموما، آتوها أهلها، الذين هم { أهلها، { وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ } وهذا يشمل كل معروف حسنه شرعا وعقلا، من حقوق الله، وحقوق الآدميين، { وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ } كل منكر شرعا وعقلا، معروف قبحه، والأمر بالشيء والنهي عنه يدخل فيه ما لا يتم إلا به، فإذا كان المعروف والمنكر

يتوقف على تعلم وتعليم، أجبروا الناس على التعلم والتعليم، وإذا كان يتوقف على تأديب مقدر شرعا، أو غير مقدر، كأنواع التعزير، قاموا بذلك، وإذا كان يتوقف على جعل أناس متصدين له، لزم ذلك، ونحو ذلك مما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به[2].

ولهذا على المسلم ان يسعى في نشر دين الله بالوسائل الشرعية من دعوة الى الله بالكلمة و الدعاء ونشر العلم ، او بالجهاد حين يكون يتمادى اعداء الدين في الاساءة والظلم والجور ، ولذلك لم يحارب النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة و لا اصحابه لانهم كانوا مسالمين في عهد النجاشي ومحسنين ، ولم يوجه جيشا لليمن لانهم قبلوا الحق وامتثلوا له وآمنوا ، وحارب قريشا الذين هم اهله وعشيرته لانهم حاربوا المسلمين واضطهدوهم واخرجوهم من ديارهم ، وحارب بنوا قريضة لانهم خانوا العهد وتواطئوا مع الاحزاب للغدر بالمسلمين وابادتهم بعد محاصرتهم ، فالاسلام لا يوجب الجهاد الا بحق ، ولا يوجب الجهاد فيما ليس فيه حق ،والصراع بين الخير والشر قائم الى قيام الساعة ، ومنه فان الجهاد لابد منه لرد الصائلين والخادعين والخائنين .

فالخير والشر هما غايتا الوجود ،واساس التاريخ البشري كله ، فلم تقم حرب الا بين خير وشر ، فاي حرب في التاريخ يوجد فيها معتدي ومعتدى عليه ، ويوجد فيها ظالم و عادل ، فالامبراطوريات العسكرية القديمة كالروم وفارس هي دول ظالمة اعتمدت في توسعاتها على ظلم الشعوب و استبدادهم واستضعافهم واثقال كواهلهم بالضرائب والجبايات وفرض أفكارهم وقوانينهم ومعتقداتهم عليهم تحت وطأة السيف و سوط الجلاد ، و الفتوحات الاسلامية جاءت لصد تلك الامبراطوريات الظالمة و هدم عروشها ، ثم استأمن الاهالي الغير مسلمين و عاهدوهم فدخل منهم من دخل للاسلام طوعا وبقي على دينه من بقي غير مكره ولا معتدى عليه ، وان حدث في بعض القرون ظلم على الذمي والمعاهد فهذا الظلم من فعل اولئك الامراء وليس من فعل الاسلام ، واتت الحروب الاستعمارية فاعتدت اسبانيا والبرتغال وفرنسا وبريطانيا على

---

[2]: تفسير بن السعدي رحمه الله

تلك الشعوب المستعمرة فكانت ظالمة ، وكان دفاع الشعوب عدلا و خيرا ، و جاءت الحرب العالمية الاولى والثانية فتناطحت قوى الظلم فيما بينها وقتلت الملايين من الابرياء وهذا شر ، ثم جاءت الحركات التحررية لترد هؤلاء الظلمة وتطردهم من اراضيها فكانت الحرية خير ، و اليوم تعيش ارض فلسطين نفس الحكاية صراع بين محتل غاصب ظالم متجبر ينتهك حقوق الانسان و يقصف بقنابل الفوسفور الابيض المحرم و يقتل الابرياء بل ويهدد بالقنبلة النووية ، و يقتل المدنيين من النساء والاطفال والشيوخ ويجبن عن قتال المجاهدين ، فكانت معركة بين خير وشر ، و هكذا سنة الله في خلقه يبقى الصراع بين الخير والشر حتى قيام الساعة ، ولله عاقبة الامور

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) سورة الحج

: وقال ايضا

وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ 251))

ولكن كيف يكون الخير والشر غاية في ظل كل هذا الصراع ، وهل وجد الناس فقط ليعيشوا هذا الصراع ؟

ان الصراع بين الخير والشر يبدأ من نفس الانسان ، فنفسه أمارة بالسوء ، لكن طبيعتها تحب الفضائل ، ولهذا يعيش الانسان ذلك الصراع ابتداء من نفسه ، فنفسه ترى ان الصدقة فعل حسن وخير وفيه مساعدة للناس ، لكنها في نفس الوقت تهوى جمع المال والاستئثار به وعدم انفاقه على الناس ، فيعيش الانسان ذلك الصراع {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}

ثم يذهب بك هذا الصراع الى عائلتك ، فتعيش الصراع نفسه بين افراد عائلتك ومع جيرانك و اهلك ومجتمعك ، فتحاول ان تبدوا لطيفا خيرا ، لكنك قد تغضب على احدهم فتخطيء بكلمة فاذا بك في اعين الناس شرير .

فكل حياة الانسان مبنية على هذا الصراع التقليدي ، ولكن ليس الخير والشر غاية لذاته ، بل هو غاية لغاية اخرى اكبر منها ،،،، وهي الحقيقة التي يخشاها كل انسان لما يتعلق بها من مجهول ، وهي ماذا بعد الموت ؟

نعم السؤال الاكبر الذي يلازم الانسان و ينكد صفاء عيشه هو :ماذا بعد الموت ؟

فان كان لا يوجد بعث ولا عقاب ولا جزاء ومحاسبة ، اذا اولئك الذين يفعلون الشرور . لا يحاسبون ، سينتهي شرهم بموتهم ولا يعاقبون ، فقادة الكيان الصهيوني مثلا التي تعطي الاوامر بابادة الملايين من البشر الابرياء في غزة ستنفذ بدون عقاب ؟ ولا تحاسب على افعالها ؟

ومنه سيصير صراع الخير والشر صراعا عبثيا ، و صراع الالحاد والايمان صراعا عبثيا ، واستنكار الملحد من الشر كذلك عبثيا.

الحياة الدنيا لم تكن يوما غاية ، وانما كل مايتعلق بها من غايات هو مربوط بالغاية الكبرى ، وهي ماذا بعد الموت ، فلا يوجد مايفسر غاية الوجود الا مابعد الوجود نفسه ، فلو لم يكن هناك ثواب وعقاب وجزاء ، اذا لنقوم بتفعيل قانون الانتخاب الطبيعي ، وليبقى الاصلح منا ، ولا يلوم احد منا الاخر على قتل الاخر ، ثم ماذا ؟؟ ثم نصير ترابا ؟ يالها من فوضى وعبثية لا مثيل لها ؟

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ .
إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24) سورة الجاثية

وصدق الله، ان هم الا يظنون ، فالموت هو حقيقة مجهولة ، لا يستطيع الملحد ان يعطي اي تفسير تجريبي لها ، ولا يفلح في ان يدرك ماهو الموت ولو اجتمعت كل عقول البشر ، فالموت هو ظاهرة مخيفة ، بل وغامضة ، واليك بعض المواقف التي تحدث عند الموت التي لايمكن تفسيرها باي شكل من الاشكال:

لايستطيع احد التنبأ بمتى يموت المرء حتى لو كان مريضا جدا وحالته خطرة ، وانما يمكن فقط تخمين أمد الحياة الممكن ، ولا يمكن معرفة زمن الموت الحقيقي الا اذا مارس عملية القتل بنفسه كالإنتحار أو القتل العمدي أو مايسمى بالقتل الرحيم.

هل تعلم ان الانسان اثناء الموت السريري والذي يسبق الموت البيولوجي بدقائق، يمكنه ان يرى كل شيء ويسمع كل شيء ؟ فهل يتعلق الأمر بمجرد هذيان، أم بشيء آخر لم يتمكن العلم بعد من فك طلاسمه؟ وفي هذا الصدد يرى طبيب الأعصاب الألماني فيلفريد كون، الذي يبحث في الموضوع منذ حوالي ربع قرن، أن "العلم يصل هنا إلى حدوده القصوى. يمكن بالطبع، أن يكون سبب ذلك نقص الأكسجين أو تأثير أدوية التنويم فتحدث تلك الهلوسة. لكن إذا كان الأمر مجرد أوهام، فكيف يمكن للمريض رؤية الأشياء وهو ميت سريريًا؟"

ويعتقد الخبراء أن 10% على الأقل من البشر عاشوا تجارب "الموت الوشيك". إذاعة "دوتشلاند فونك" الألمانية (15 نوفمبر/ تشرين الثاني 2019) سألت دانيل كوندزيلا خبير طب الأعصاب في المستشفى الملكي بكوبنهاغن حول الموضوع فأوضح أن "كل هؤلاء الأشخاص (العائدين من الموت) تم إنعاشهم مرة أخرى، وتمكنت أدمغتهم من البقاء على قيد الحياة دون أي ضرر كبير. وإلا لما تمكنوا من سرد ما عاشوه في تلك التجارب سنوات عديدة بعد وقوعها. وهذا يعني أنها تجارب تحدث في وقت لا يزال الدماغ يعمل فيه بشكل جيد.[3]

هل تعلم أن ريتشارد دوكنيز كبير المدافعين عن الداروينية وربما دافع عنها أكثر من داروين نفسه لا يعتقد أن عدم وجود حياة بعد الموت حقيقة يقينية ؟ وأنه لو خاض هذا التحدي في اثبات عدم وجود حياة بعد الموت أنه لا يعتقد أنه سيفوز فيه؟

إليك كلامه في حواره مع نك بولاد :

"بالتأكيد إن التكهن بأننا لانعيش بعد الموت تبدوا لي احتمالية مرتفعة على نحو ساحق ، هذا سيكون اختبارا علميا جيدا ،وإن لم نكن قادرين على تطبيقه بطبيعة الحال ،لكن من جهة المبدأ : إن كانت الذات شيئا مغايرا للدماغ ، فينبغي أن تعيش بعد أن يتعفن الدماغ،

---

3 :https://www.google.com/.../%25D9%2585%25D8.../a-53851652

وأنا مستعد لوضع مراهنة عالية جدا -مدركا أنه ليس بإمكاني الفوز- أنه متى ماتعفن دماغي فإن ذاتي لن تبقى بأي شكل من الأشكال"[4]

وبعيدا عن كل هذا ، مالذي يجعلك تعتقد أنه لا وجود لحياة بعد الموت ؟ ولا وجود لحساب وثواب وعقاب ؟ هل يمكنك تقديم دليلا إمبريقيا واحدا يثبت أنه لاوجود لحياة بعد الموت ؟ أو على الأقل هل يمكنك اثبات أن العالم الوحيد الموجود هو العالم المحسوس ؟

إن الملحد كائن لايعرف للأمانة سبيلا ، فهو يقبل الدليل التاريخي كمصدر للمعرفة ، لكنه يرفض دليلا تاريخيا بنفس أدوات الإستقراء والثبوت لو كان مصدره دينيا ، وهو يقبل الترجيع العقلي والمنطقي بالعموم ، ويقبل الترجيح الرياضي ، ولولا الترجيحات الثلاثة الأخيرة ماقبل بالعلم التجريبي نفسه ، لأن أدوات التثبت من معطيات العلم التجريبي هي عقلية ومنطقية ورياضية ،[5] لكن لا يقبل الترجيح العقلي الذي يثبت له أن الله موجود ، وأن البعث بعد الموت والحساب والعقاب موجود ، لأنه ببساطة كائن جاحد لا يعرف للأمانة والصدق مع نفسه سبيلا .

إن احكام العقل متى ثبتت سلامة العقل وصحته لا تنتقض أبدا ، سواء كانت واجبة أو جائزة أو مستحيلة ،[6]

والبعث والحساب ليس من الأمور التي يحقق وجودها تناقضا عقليا ، فهي ليست مستحيلة ، وإنما هي جائزة الوجود مثل الكائنات .

الحكمة من الخير والشر : إن التسليم بوجود خير وشر ينهي مسألة الإلحاد كلها ، فالعالم الإلحادي لا وجود للخير والشر فيه على حد تعبير كبير كهنة الإلحاد المعاصر ريتشارد دوكنيز : "الكون في حقيقته بلا تصميم وبلا غاية ، وبلا إله وبلا شيطان "[7]

ولكن الخير والشر حكمة من عند الله ، والحكمة الأساس فيها هو الخفاء ، فلو قلنا مالحكمة من كذا مع علمنا به لصارت الحكمة علما متداولا ولن تصير حكمة .

---

[4] نقلا عن كتاب ميليشيا الإلحاد / عبد الله صالح العجيري /صـ 173

[5] كهنة الإلحاد الجديد / د. هيثم طلعت علي سرور / صـ 10

[6] عقيدة المؤمن / أبي بكر جابر الجزائري / صـ 36

[7] River out of Eden. p 131-132

إن كهنة معبد أمون بمصر سموا العلوم والمعارف بالحكمة لأنها كانت مسيجة بسياج المعبد ، ولا يحق للعامة أن يطلعوا عليها .

و مادام الملحد ليس له العلم الذي يستطيع الإعتراض على الحكمة لا يحق له بهذا الإعتراض ، فالملحد لا يستطيع أن يعلم ماذا سيحدث غدا ، وإن علم أشياء لا يعلم كل جوانبها وخفاياها ، فلو سألت ملحدا كيف تم التحضير لمعركة طوفان الأقصى ، وماهي الأهداف القريبة والبعيدة التي سطرتها حماس ، سيقف مشدوها ويبقى يتفوه بتخمينات سياسية وعسكرية إن كان له عقل يفهم في التكتيكات العسكرية والتحركات الجيوسياسية أصلا ، وإلا فإن ماسيتكلم به لا يتعدى كلام المقاهي والشوارع .

الشر ليس قاعدة يا أجهل الكائنات الحية :

إن الملحد لا يعترض على مسألة الخير والشر إلا بجهل مركب ، جهل بالأصول وجهل بالمنهج العقلي والعلمي ، إن الشر ليس بأصل في هذا الكون حسب الرؤية الإسلامية والحقيقة العقلية ، وإنما هو استثناء ، وإلا ماعاد الشر شرا .

إن الحرب هي حالة استثنائية للأمن والإستقرار ، والمرض هو حالة استثنائية للصحة والعافية ، لو كانت الحرب حالة غير استثنائية لكانت الحرب حالة عادية طبيعية ، ولو كان المرض حالة أصلية لصار حالة طبيعية وعادية .

ولذلك الله عز وجل يبتلي المؤمن بما يسوءه فكان هذا الابتلاء هو حالة طارئة . فإن الله إذا أحب عبدا ابتلاه ، ولو كان الإبتلاء حالة عادية لكان أكثر الناس ابتلاء هو الملحد ، ولصار الإبتلاء حالة طبيعية لا يحق للملحد أن يعترض عليها .

وهنا نرى أهم مغالطة يعتمد عليها الملاحدة العرب ، وهي تقعيد الإستثناءات .

فالشر ليس أصلا في الكون وإنما هو استثناء ، ومع ذلك الملحد العربي يعترض عليه كأنه قاعدة يسير عليها الكون كله .

بنفس المنطق يعترض الملحد العربي على كثير من القضايا ، فبمجرد أن الجنة فيها الحور العين ، فهي جنة شهوانية جنسية يصورها لك الملحد كأنها بيت دعارة من بيوت لاس فيغاس الإلحادية .

وبمجرد أن المرأة يجب عليها التحجب يعترض الملحد بأن المرأة مسلوبة كل الحقوق في الإسلام وكأن الإسلام يعامل المرأة ككائن بيولوجي أدنى مرتبة من الرجل في سلسلة التطور لأن دماغها أقرب لدماغ الغوريلا .

نعم هذه حقيقة عقول الملحدين العرب إن كان لهم عقولا أصلا .

لا يملك حق الإعتراض إلا من له حق التغيير : إن أي حزب معارض في أي دولة له برنامج سياسي واقتصادي وعسكري وثقافي كامل ، فهو يستحق الإعتراض لأن له البديل الذي يغير به تلك القوانين الدستورية والمؤسساتية و أن يعمل بكفاءة تعادل أو تقترب من كفاءة الحزب الحاكم .

مادمت تعترض على قوانين بعينها فعليك أن تأتي بحلول وقوانين أقوى منها وتقوم بتطبيقها ، وإلا فأنت لا تقدم غير الثرثرة والكلام الفارغ .

مادمت تعترض على مسألة الشر فلتتقدم ياملحد ياجهبذ وتعطينا حلا لنزع مشكلة الشر نهائيا من الكون .

سيعترض الملحد مرة أخرى ويقول إن الأديان هي من تمنع نزع مشكلة الشر من العالم ، وهذا الإعتراض الجاهل هو إثبات للعجز بعينه ، فما دمت لا تقدر لا على نزع مشكلة الشر ولا على القضاء على الأديان ، فأنت عاجز ولا تستطيع تقديم حل لمشكلة أبدا ، وأنت بهذا تعترف بوجود المشكلة ،،،، فاعتراضك لم يقدم سوى الثرثرة وتصديع رؤوس الناس بترهات فارغة .

بعجزك على ايجاد حل لمشكلة الشر أنت تعترف بأن آلهة الأديان جميعها أقوى منك ومن إلحادك ، لأن كل تلك الأديان عالجت مشكلة الشر بطريقة ما ، وأنت لا تعرف سوى الإعتراض والإستنكار والشكوى كامرأة خرجت للبغاء متبرجة فلما تحرش بها الرجال بدأت تبكي وتشتكي .

وخلاصة كلامنا في هذا المبحث أن الملحد يعترض على مالا يحق الإعتراض عليه ، ويعترض على أمور يقع في أسوأ منها بإلحاده ، بل يعترض جهلا منه بأصول إلحاده، وباعتراضه يقوم بهدم الإلحاد بنفسه ، بل لا يمكن للملحد أن يعطينا حتى نظرية علمية صحيحة يعالج بها مشكلة الشر .

الإرهاب بين الإحلام والإلحاد

كلما ظهرت حركة تحررية أو جهادية في العالم الإسلامي بدأ العالم كله يصف المسلمين بالإرهاب ، وكأن الإسلام هو دين إرهاب وباقي الأديان جميعها هي دين سلام، ومع أن الحقيقة ان هناك بعض الجماعات الإسلامية قد أخطأت في منهجها وسيرتها وربما

مارست الإرهاب بشكل ما ، إلا أن هذا لا يعني أن الإسلام هو دين الإرهاب ، وإنما هي أخطاء هؤلاء ولا يصح تعميمها على الإسلام كله .

و الإرهاب يكون بقتل المدنيين من أطفال ونساء وشيوخ وعجز ، بينما الإسلام لا يأمر بهذه الأمور أبدا ، وإنما بالعكس يحذر منها ، فيقول صلى الله عليه وسلم :**" ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا أو امرأة ، ولا كبيرا فانيا ، ولا منعزلا بصومعة"** [8]

وقد قال الله عز وجل : {**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} سورة البقرة 190** عن معاوية عن علي ، عن بن عباس رضي الله عنهم جميعا قال :لا تقتلوا النساء ولا الصبيان ولا الشيخ الكبير ، ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده ، فإن فعلتم فقد اعتديتم .[9]

والذي شرعه الله عز وجل من جهاد هو المقاتلة وليس القتل ، والمقاتلة تكون من طرفين ، والنساء والأطفال والشيوخ لا يقاتلون .

ويدخل في حكم المقاتلة النساء التي تشارك في الحرب في غير قتال كالإمداد بالعدة والعتاد والتحريض بالشعر والندب ، أما إذا خرجت تصنع الطعام والشراب ومداواة الجرحى ، فلا أرى هذا يدخل في باب المقاتلة ، لأن الطعام والشراب وعلاج المريض تعمله النساء في كل حين عادة غالبة لها ، وأما عدة الحرب و الندب إلى القتال ، فهذا ليس من شأن النساء ، فدخولهم فيه دخول في حكم المقاتل .[10]

بل لا يجوز قتال الفلاحين والعاملين الذين لا يقاتلون ، فقد روى سعيد بن منصور ، عن زيد بن وهب ، قال : كتب عمر رضي الله عنه :"لاتغلوا ولا تغدروا ، ولاتمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، واتقوا الله في الفلاحين الذين ينصبون لكم الحرب " [11]

هناك آية يتمسك بها طارحوا الشبهات كثيرا وذلك بجهل منهم و سطحية فهم ، واقتصاص للآية من سياقها العام الذي نزلت فيه وموضع نزولها ، وهي في قوله عز وجل : {**واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين } سورة البقرة 191** ومعنى ثقفتموهم في الآية أي لقيتموهم ، أي على كل حال سواء كانوا في تنقل أو راحة أو تطلع وتحسس ، وذلك ماداموا قاصدين

---

[8] رواه مسلم

[9] تفسير الطبري /3- 290

[10] التفسير والبيان لأحكام القرآن / عبد العزيز بن مرزوق الطريفي / المجلد الأول / صـ 265

[11] أخرجه سعيد بن منصور في سننه / 2625 / (2-280)

الإعتداء وقد بينوه لاحتمال مبادرتهم ومباغتتهم للمسلمين بالعدوان ، فكان الواجب عدم التفريق بين أحوالهم ، صيانة للمسلمين وحفظا لدمائهم .[12]

طبعا اعتدنا على اعتراضات الملحدين الذين يقولون أنتم ترقعون ، وهم لا يقولون هذا إلا بغباء وجهل وسطحية في البحث ، فلو كلفوا نفسهم فقط عناء قراءة سياق الآيات كلها ، بل لو قرأوا الآية التي بعدها فقط لأخرسوا ألسنتهم ، ولكنه الجحود والكفر الأعمى ، يقول عز وجل بعد الآية السابقة : **{فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم } الآية 192** .

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في كتابه **فقه الجهاد :**

لأن القتال هو لمن يقاتلنا إن أردنا إظهار دين الله ، كما قال تعالى :{**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين}** وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم : ((أنه مر على امرأة مقتولة في بعض مغازيه قد وقف عليها الناس ، فقال:**ما كانت هذه لتقاتل**)) وقال لأحدهم : ((**الحق خالدا فقل له : لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا**)) وفيهما أيضا عنه صلى الله عليه وسلم : ((**لا تقتلوا شيخا فانيا ، ولاطفلا صغيرا ولا امرأة**)) . وذلك أن الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يحتاج إليه في صلاح الخلق ، كما قال تعالى :{والفتنة أشد من القتل }، أي أن القتل وإن كان فيه شر وفساد ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ماهو أكبر منه ، فمن لم يمنع المسلمين من إقامة دين الله لم تكن له مضرة على كفره إلا على نفسه ، ولهذا قال الفقهاء : إن الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة يعاقب بما لا يعاقب به الساكت .

وجاء في الحديث :((إن الخطيئة إذا اخفيت لم تضر إلا صاحبها ،ولكن إذا ظهرت فلم تنكر ضرت العامة))

ولهذا أوجبت الشريعة قتال الكفار ، ولم توجب قتل المقدور عليهم منهم ، بل إذا أسر الرجل منهم في القتال أو غير القتال ،مثل أن تلقيه السفينة إلينا ، أو يضل الطريق ، أو يؤخذ بحيلة ، فإنه يفعل فيه الإمام الأصلح من قتله ، أو استبعاده ، أو المن عليه ، أو مفاداته بمال أو نفس عند أكثر الفقهاء ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، وإن كان من الفقهاء من يرى المن عليه ومفاداته منسوخا.[13]

---

[12] التفسير والبيان لأحكام القرآن / عبد العزيز الطريفي / المجلد الأول / صـ 270

[13] فقه الجهاد / شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله / صـ 74-75

ومن كل ماسبق لنا وذكرناه يتبين لنا أن الإسلام جعل أحكام الجهاد والقتال مع المقاتل المعتدي الصائل ، لا مع المسالم الأعزل ، وهذا طبيعي ، فالإسلام من يوم ظهر وهو في صراع مع أرباب الكفر والطغيان ، ولا يكاد الكفار يستغلون فرصة لقتال المسلمين واضطهادهم إلا و اغتنموها ، والتاريخ خير شاهد بما قاموا به من حروب صليبية و حركات استعمارية ، فمن ظن أن مداهنة الغرب والخضوع لهم وعمل اتفاقات السلام معهم يجعلهم أفضل حالا من قتالهم فهو واهم ، فإن الغرب لا يلجأ لهذه الأساليب الملتوية من صلح و معاهدات إلا لأمرين لا ثالث لهما ، وهو اقتضاء مصلحتهم بذلك من نيابة أئمة الكفر والجور عنهم في اضطهاد المسلمين كما نشهده اليوم من اضطهاد للدعاة والعلماء وطلبة العلم والمصلحين في دول الخليج و مصر وغيرها ، واقتضاء المصلحة من مصالح كاستنزاف ثروات الشعوب و التأمين على قواعدهم العسكرية التي ماوضعت إلا لاضطهاد المسلمين ومنع أي حركة تساهم في إعلاء كلمة الله ، والأمر الثاني هو في حالة هزيمتهم و ظهور بوادر سقوطهم فهم يلجأون للصلح فقط لإعادة بناء قوتهم ومن ثم الإنقضاض مرة أخرى على المسلمين ، فالغرب بلا شك من أيام روما الصليبية إلى يومنا هذا يعتبر الإسلام عدوه الأول ،ويصرحون بهذا في جميع محافلهم الدولية و برلماناتهم وبرامجهم السياسية والإعلامية ، لكن الملحد العربي لا يرى إلا شوارع الغرب النظيفة التي تظهرها وسائل الإعلام وعملتهم المرتفعة التي رفعوها بنهب ثروات الشعوب و استباحة دماءهم .

ولهذا فقد شرع الإسلام جهاد الفتح حتى وإن لم يبتدأ الكفار بقتالنا ، لأنه هو الحكيم العليم يعلم عقائدهم و كرههم للإسلام ورغبتهم في القضاء عليه كلما أتيحت لهم الفرصة، ولا شك ممن يفقه في التكتيكات العسكرية يعلم جيدا أن افضل دفاع هو الهجوم خلف خطوط العدو ، وأن استباق الضربة الأولى يزيد من فرص النصر على أرض المعركة ، والله وحده هو الناصر لجنده .

لكن لنرى الفلسفة الإلحادية هل تقر بمثل التعاليم التي أقرها الإسلام في الحرب ، ونرى نماذج للحرب لما يكون للإلحاد دولة :

حدائق حيوان البشر : لا داعي للإطالة كثيرا ، فهل يعلم الملحد المصري الكيميتي كما يدعي أن أجداده كانوا موضوعين في قفص في حديقة حيوان البشر ومعروضين عراة أمام الناس ليشاهدوا نوعا مختلفا أدنى تطورا من الإنسان الألماني ؟

في عام 1874م قرر الألماني كارل هانجنبك أن يحضر مجموعة من النوبيين باعتبارهم أحد انواع الحيوانات ، وتم وضعهم في حديقة خاصة يعرضون أمام العامة [14].

أكبر عقل إجرامي في تاريخ البشرية " الفوهرر هتلر" :

لقد كان هتلر متشبعا بالفكر الإلحادي و لم يكن أبدا مسيحيا كما يدعي الملاحدة تهربا من جرائمه البشعة التي كانت بسبب رؤيته الإلحادية .

صحيح لقد قدم هتلر في بدايته دعما للكاثوليكية الألمانية ، لكن بعد اعتلاءه عرش الرايخ الثالث قد سمح لجوبلز وهملر وبولمان باضطهاد المسيحيين بصفة عامة ، وكتب آلان بولوك :" لقد كان هتلر ماديا قاسيا ، وكان يرى أن المسيحية عائق في وجه قانون الإنتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح "

وكان ألبرت سبير مهندس عمليات هتلر يقول أن هلتر كان يرى بأن المسيحية ديانة خاطئة ،،،

وفي عام 1939 أعلن هتلر لجولبز أنه يود لو تسنح له الفرصة في القضاء على المسيحية .

أما من الناحية التطبيقية فقد صاغ هتلر قانون اخصاء سنة 1933 لإخصاء أكثر من 400 ألف شاب بالأشعة اكس ليفقدوا قدرتهم على الإنجاب ، لأن هؤلاء الشباب كانوا مصابين بأمراض نفسية أو وعصبية قد تؤثر على الأجنة التي ينجبونها .

كذلك كان يرى هتلر أن الألمان هم أرقى الأجناس ، وأن اليهود والغجر والسلافيين والأقزام والمرضى والمعاقين هم أجناس أدنى ، ولهذا عمل على إبادة هاته الشعوب وتفريغها لأنه كان يعتقد أنها تؤثر على نقاء الجنس الألماني الفريد .

وباختصار ، لقد كان هتلر يتبنى فكرا إلحاديا تطوريا ، وأثرت فيه فلسفة فريدريك نيتشه ونظريته المعروفة باسم نظرية السوبرمان لدرجة أنه كان يرى فناء كل البشرية من أجل بقاء الجنس الألماني الذي يراه أرقى الأجناس أمرا عاديا ، كيف لا وهو نفسه كان يقول أنه لا إله حقيقي إلا ألمانيا ، ولو استطاع هتلر الانتصار في ستالينغراد لكنا ندرس اليوم عن هتلر مدعي الألوهية والربوبية .

---

[14] http://mondediplo.com/2000/08/07humanzoo

ربما قصة هتلر لا يحبها الملحد العربي كثيرا ، ولكن سنعطيه نماذج أرقى من التاريخ القريب لملاحدة حقيقيين ، استطاعوا أن يقوموا بتوظيف الفكر الإلحادي في أرقى نماذجه المعاصرة .

العصر الذهبي للإلحاد في ظل الإتحاد السوفياتي :

لقد كان الفكر الإلحادي في قمة ازدهاره في عهد الإتحاد السوفياتي ، ولكن الحقيقة أن تلك الفترة كانت أكثر فترات التاريخ دموية في أرض السوفيات .

ففي عهد ستالين تقدر التقارير الرسمية [أي السوفياتية] 799.455 حالة إعدام موثقة [15]، كل هذه الأعداد هي التي تم توثيقها في السجلات السوفياتية ، في حين تقدر التقارير الغير الرسمية مابين 3 ملايين إلى 9 ملايين حالة إعدام .

أما ضحايا الكولاج والتوطين القسري فقد كان حسب السجلات الرسمية في عهد ستالين حوالي أربعمئة ألف قتيل .

ستالين كان ملحدا ، وقد مارس حملة تطهير كبرى مابين 1936-1939 راح ضحيتها مابين 8 إلى 10 ملايين نسمة ، وقتل ستالين الملحد الأكثر إجراما في التاريخ من الشيوعيين البارزين أكثر مما قتلت البورجوازية الرأسمالية على امتداد العالم .[16]

الفكر الإلحادي تأسيس لعالم الجريمة وحرب الإبادة :

، يقول تشارلز داروين في كتابه أصل الأنواع :""في المستقبل غير البعيد، سوف تبيد الأجناس المتحضرة الأجناس الهمجية وتحل محلها حول العالم

ومن هذا المنطلق الذي أسس فيه داروين لنظرية التطور وتبعها بنظرية الإنتخاب الطبيعي ، صار العالم الإلحادي يسير وفقا لشعار البقاء للأصلح .

إن الإلحاد المبني على المعرفة الحسية فقط وعلى الوجود المادي فقط فإن القيمة الحقيقية الصحيحة فيه هي فقط ماتمثل منفعة ومصلحة مادية ، فالإلحاد هو دين براغماتي محض ، والقيمة الصحيحة فيه هي المنفعة ، فلو كان قتل ملايين البشر وإبادتهم سيحقق منفعة فلا مانع من هذا ، فالملحد الحقيقي لا يستطيع أن ينكر على شخص فعل الشر كما يقول ريتشارد دوكنز : "لا أستطيع أن أجادل فكريا ضد شخص

[15] seumas milne : The battle for history . the guardian . 12/09/2002

[16] كهنة الإلحاد الجديد / د. هيثم طلعت / صـ 165

فعل فعلا أعتقد أنه شنيع ،أظن في النهاية سأقول له :طيب في هذا المجتمع لن تستطيع الفراربهذا الصنيع " [17]

بل إن ريتشارد دوكنز يعتبر أن مافعله هتلر لا مانع إلحاديا أن يكون صواب فيقول : مالذي يمنعنا من القول أن هتلر كان على صواب ؟ أعني هذا سؤال صعب فعلا [18]

وفي الحقيقة إن مقولة دوكنز الأخيرة هي صحيحة تماما ، فهتلر كان من خلفية إلحادية، والنازية كانت ممارسة تطبيقية لتنظير الإنتخاب الطبيعي ، و النازية هي نتاج فكر فريدريك نيتشه الذي صرح أنه " مات الإله" ، وبالتالي فقد مات تباعا كل مفهوم للقيمة والخير والعدل ، بل إن هذه العبارة هي حقيقة اعلان عن انهيار المنظومة الأخلاقية إلحاديا ، فلم يعد أي معنى لأي قيمة خلقية ، هذا مايثبته لنا دوكنز لما يخبرنا أنه من الصعب الدفاع عن القيم الأخلاقية خارج المنظومة الدينية [19]

يخبرنا دوكنيز في احدى الوصايا العشر في كتابه "وهم الإله" أن تعليم الطفل أن الله خلق العالم هو استغلال لبراءة الطفل بطريقة بشعة ، في المقابل يعتبر أن القول بأن الإغتصاب خطأ هو أمر اعتباطي ، و منه فإن اغتصاب الطفل لامانع منه عند دوكنز ، أو على الأقل يمكن الجدال فيه كما صرح في احدى حواراته .[20]

فإذا كان الإلحاد يجيز القتل تحت مسمى الإنتخاب الطبيعي ومفهوم البقاء للأصلح ، وإذا كان الإلحاد يعتبر الفعل الشنيع أخلاقيا من اغتصاب وزنا محارم وغيرها أمرا لا يمكنه الإعتراض عنه ، فعلى أي أساس يحق للملحد أن يعترض على الشر ؟ وعلى أي أساس يعتبر الإرهاب أمر فضيع ويستنكره ؟

ألا يمكن ان تمارس الأديان غريزة البقاء للأصلح لتحافظ على وجودها ؟

للأسف إن الملحد لا يستطيع الإنطلاق إلا من أرضيات هشة ، سرعان ماتنشق تلك الأرضية وتبلع أفكاره فيبقى كالحيوان صم بكم عمي فهم لا يرجعون .

وصدق الله عز وجل لما قال : {إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا معرضون } سورة الأنفال 21-22

---

[17] نقلا عن شموع النهار / عبد الله صالح العجيري / صـ 66
[18] المصدر السابق
[19] وهم الإله
[20] شموع النهار / صـ 69

وفي الختام أسأل الله أن يردنا إلى دينه ردا جميلا ، وأن يفقهنا في ديننا ويعلمنا من لدنه علما نافعا ، ونعوذ بالله من الجهل ، ونسأل الله أن ينصر إخواننا في غزة وفلسطين وسوريا ، وأن يثبت أقدام إخوتنا في كتائب القسام وسرايا القدس وشهداء الأقصى وسائر فصائل المقاومة الفلسطينية وفي غرفة عمليات الفتح المبين بسوريا ، ويسدد رميهم و ينصرهم على عدوهم ، إنه وحده القادر على ذلك سبحانه هازم الأحزاب وحده.

اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ، ولا تنسونا من خالص دعائكم .

أخوكم ، عزالدين بن راشو